

النشاط النقابي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

الثورة الاشتراكية العالمية

- من مكتب «الاداب» في القاهرة -

انتعشت الحركة الفكرية الاشتراكية أخيراً انتعاشاً واضحاً ملموساً ، وأصبحت الصحف تتحدث كثيراً عن الاشتراكية ، وصدرت كتب عديدة عن الاشتراكية ، ولكن القليل من هذا الانتاج هو ما يصدر عن فكر اشتراكي نظري عميق ، وان كان هذا النشاط في حد ذاته هو حركة تستحق التقدير ، وتنبئ بمستقبل باهر للفكر الاشتراكي في الجمهورية العربية .

وهناك ظاهرة رئيسية تطبع التفكير الاشتراكي في بلادنا ، هو انه فكير مستقل يراعي تجربتنا الخاصة ، وظروفنا العربية المستقلة .

ومن ألمع الدراسات الاشتراكية التي ظهرت أخيراً كتاب عن «الثورة الاشتراكية العالمية» للاستاذ عبد الرحمن شاعر . وقد أثار هذا الكتاب مناقشات كثيرة ، ولفت انظار المثقفين ، ويعتبر الكتاب نموذجاً لمجهود فكري كبير يتجاوب مع الظروف الثورية التي تعيش فيها الجمهورية العربية .

ويحاول هذا الكتاب ان يحدد الخطوط الرئيسية للوضع التاريخي المعاصر واحتمالات تطوره في المستقبل وامكانيات التأثير فيها لصالح الجماعة الانسانية بصفة عامة .

وتقوم فكرة الكتاب على اساس وصف الوضع العالمي المعاصر بانسه « مرحلة انتصار الثورة الاشتراكية العالمية » .

وهو يبدأ باستعراض الافكار القديمة عن تلك الثورة قبل بدئها واثاء تحقيقها ، ويحاول الفصل الاول ان يحسم المشكلة القديمة حول ما اذا كان التطور الاشتراكي نتيجة محتمة لقيام الراسمالية ام لا ، على اساس ان الاشتراكية هي فعلا المال الحتمي لنمو الراسمالية ، ولكنها تتحقق في الكيان العالمي الذي اوجدته الراسمالية ، على صورة تغيير شامل في هذا الكيان ، بفض النظر عن اختلاف درجة النمو الراسمالي في مختلف البلدان . فهو يقرر ان قيام الثورة الاشتراكية العالمية ، كان نتيجة للنمو العالمي للرأسمالية، الذي يصطحب معه نمو تيار عالمي مضاد ، يسمى لتحقيق الاشتراكية .

اما عن انتصار الثورة الاشتراكية العالمية فقد خالف تحقيق ذلك تصورات مختلف الدوائر الاشتراكية المعاصرة مثل ما خالف بنؤها تصور القديمة منها . وهو يصطدم مباشرة بتصور الشيوعيين ان انتصار الثورة الاشتراكية العالمية معناه ان يسود العالم نظام شبيه بالنظام القائم في الاتحاد السوفياتي او بلدان المعسكر الاشتراكي فانتصار الثورة الاشتراكية العالمية طبقاً للتليل الذي اوردته الكتاب يستغرق معناه تماماً الوضع العالمي المعاصر ، الذي تقوم فيه ثلاث حقائق رئيسية :

اولها : هو قيام المعسكر الاشتراكي كقوة فعالة قادرة على صد محاولات القضاء عليه من الدوائر الامبريالية .

الثاني : انهيار النظام الاستعماري العالمي للامبريالية نتيجة لسلسلة الثورات الوطنية والحركات التحريرية في المستعمرات .

الثالث : تفوق الفكر الاشتراكي وغلبيته الواضحة على الفكر البرجوازي الذي لا يابه كثيراً لمسألة العدالة الاجتماعية .

فالوضع العالمي الذي تقوم فيه هذه الحقائق من شأنه ان يجعل فصارى التغيير الاشتراكي الذي تم في عالم الراسمالية ، هو قيام العلاقات الاشتراكية المطلقة في جانب فقط من العالم ، مع نشاط تيارات الاصلاح الاشتراكي باقدار متفاوتة في بقية ، في البلاد الحديثة النمو والبلاد الراسمالية المتقدمة على السواء . في هاتين المجموعتين الاخيرتين من البلاد ، لا نحتاج الاشتراكية الى الفلوس الذي اتسمت به الثورات الاشتراكية في بلاد المعسكر الاشتراكي ، بالتزام القضاء على كافة اشكال الملكية الفردية لوسائل الانتاج مهما كانت صغيرة . وانما تلتزم الاشتراكية فقط بالقضاء على الاوضاع الفاسدة للملكية الفردية ، وتعهد الى التخلص من اشدها صورها تفاقمها متمثلة اساساً من الاحتكارية وشبه الاحتكارية

اما الملكية الفردية الصغيرة التي لا تزال تلعب دوراً ايجابياً في النمو الاقتصادي ولا تشكل خطراً على مفهوم العدالة الاجتماعية، فلا داعي البتة للقضاء عليها . بل ان ذلك امر يتفق مع الاشتراكية العالمية اكثر من غيره ، فالاشتراكية العالمية تقرر ان التحول الاشتراكي هو نتيجة النمو الراسمالي وليس مجرد قيام الملكية الصغيرة .

على ذلك ، عند هذا الحد يعتبر ان انتصار الثورة الاشتراكية العالمية قد تحقق ، ان التغيير الاشتراكي في العالم قد استتببت جنوره حيث اصبحت الاشتراكية - على حد تعبير اليوغوسلافيين - امراً تمارسه كل الشعوب ، كل منها طبقاً لظروفها التاريخية . ولا داعي البتة لمحاولة حمل احد البلاد على اتخاذ طريق اخر لمجرد اسبقيته .

ثم ان جنوح الاشتراكية في المرحلة السابقة الى القضاء تاماً على الملكية الفردية ، كان نتيجة لانها كانت اولى البلاد التي تتحقق فيها الاشتراكية . كانت الثورة الروسية هي قاعدة الثورة الاشتراكية في وجه المقاومة الراسمالية الضاربة ومحاولات القضاء على الثورة في مهدها . هذه القلوة كانت ضرورة لمواجهة هذا العدوان وحماية مبادئ الاشتراكية الوليدة . اما في الوضع الحالي بعد تقصص سلطان الامبريالية عن معظم بلاد العالم ، فلا تحتاج الاشتراكية الى ان تقيم طفيانها في مواجهة طفيان الملكية الفردية كما حدث في الاتحاد السوفياتي مثلاً .

وفي الفصل الثاني يعطى الكتاب صورة ما سماه بالطفيان الثوري للثورة الروسية . ويبين ان تلك المسألة بالذات ، الاصرار على سحق الملكية الفردية الصغيرة متمثلة اساساً في الملكيات الزراعية الصغيرة ، وتطبيق نظام المزارع الجماعية بشكل اجباري ، كان هو الاساس المادي للظاهرة الستالينية . وهو يرفض تماماً التفسير غير العلمي الذي قدمه البلاشفة لتلك الظاهرة ، حينما اقتنعوا من اذانتهم لعصر ستالين على وصفه انه خطأ فرد ذي شهوة الى السلطان ، او جماعة الحزب التي استسلمت لعبادة الفرد . ان هذا التفسير يحاول ان يرفع التبعية عن النظام الذي افرز ذلك الوضع، والمبادئ التي املت على ستالين ان يقوم بما قام به . ومن اخر الكتاب يرد علينا استشهاد بكلام من جومولكا قاله اخيراً يؤيد تماماً ما ذهب اليه الكتاب

الطغيان الستاليني كان نتيجة لتلك السياسة ازاء الملكية الفردية الصغيرة ، وتحولت فيها ديكتاتورية البروليتاريا الى اتوقراطية فردية لانها كانت تصطم باغلبية الشعب من الفلاحين، وفقدت بذلك كل روح ديموقراطية ، في المجتمع والدولة بل والحزب الثوري نفسه، واشبهت في ذلك الثورة الفرنسية تماما ، حينما الجأها تدخل الدول الاقطاعية الى اقامة الارهاب الثوري حتى شمس صفوف السوار انفسهم .

لم يقدر شخص ستالين الا لان الليتينية قدست فيه ، لم يكن ستالين الا المنفذ القدير لتعاليم لينين التي لم يعش لينفذهما بنفسه . تلك هي عقدة موضوع ستالين التي يدور حولها الشيوعيون ولا يجدون حلها لانهم لا يزالون اسارى مذهب لينين ، لا يزالون يحتفظون بروح القداسة التي حولوا قبلتها الى صريح لينين ومذهبه لكي توضع قضية ستالين في موضعها الصحيح ، ينبغي ان يرفع الاستنكار الذاتي لفظان ستالين الى مستوى الوعي النظري ، الوعي بان تلك مرحلة من التاريخ قد طويت ، وطويت معها صفحة المذهب الذي نشأ معها . لم ينته عصر ستالين فحسب وانما انتهى عصر الليتينية . لقد كانت الليتينية هي الماركسية في عصر الامبريالية وانجاز الاشتراكية العالمية ، فقد ادت الليتينية دورها التاريخي وحن ان تضاد مسرح التاريخ لتفسحه لمرحلة جديدة من الفكر الاشتراكي . ومن اول الفصل الخامس يورد الكتاب ثلاثة عشر بندا تحسوي على الافكار الرئيسية الليتينية ، التي اثبت الوضع الحالي تقادما ، وعجزها عن ان تغير التطور التاريخي بل يعتبر التمسك بها عبثا عليه .

لقد انتصرت الثورة الاشتراكية العالمية ، فما هي المرحلة التاريخية الجديدة وما هي نظريتها ؟ المرحلة الجديدة هي مرحلة انجاز مهام الثورة المنتصرة .

والهمة الاولى للثورة المنتصرة - طبعا للعلم الاجتماعي - هي تنمية قوى الانتاج لاقصى حد ممكن . فالثورات الاجتماعية هي تغييرات جذرية في علاقات الانتاج الاجتماعية بعد ان تقادم وتصبح عبثا على نمو قوى الانتاج واستبدالها بعلاقات انتاجية جديدة تسمح لتلك القوى بمواصلة نموها . وفي الوضع العالمي المعاصر اصبح دافع التطور الرئيسي ليس هو المزيد من تغيير علاقات الانتاج وانما هو النمو الهائل في قوى الانتاج . ويتمثل هذا النمو حاليا في التقدم الاقتصادي السريع الذي تحقته بلاد المعسكر الاشتراكي والبلاد الحديثة النمو ، كما ان الخطوة الرئيسية فيه هي الثورة الصناعية الثانية التي يترقبها العالم نتيجة لاستخدام الطاقة الذرية في الصناعة ونطبيق نظام الاتوميش على نطاق واسع . اذن فمسؤولية الحريصين على تقدم الجماعة الانسانية ، والنظرية التي ينبغي ان توجههم هي الوعي بان نمو القوى الانتاجية هي دافع التطور الرئيسي في المرحلة الحالية من التطور التاريخي . عليهم ان يتخذوا موقفهم من جميع القضايا من هذه الزاوية ، وان ينسقوا خطواتهم الاجتماعية ومواقفهم السياسية معها . لن يختفي التغيير في العلاقات الاجتماعية تماما من تلك المرحلة ولكن ينبغي ان يتم وفقا لاحتياجات ذلك الغرض الرئيسي ويقدر ما يتطلبه . والنمو في القوى الانتاجية يتطلب من هذه المرحلة التهادن الطبقي بين النوعين المتعاصرين من العلاقات الانتاجية ، بين الملكية العامة والملكية الفردية التي تقوم بدور ايجابي في الاقتصاد القومي والعالمي ، والموقف الثوري من الملكية الفردية ينبغي ان يقتصر حاليا على الاوضاع التي تعوق هذا التقدم مثل الاحتكار وبقاي العلاقات الاقطاعية القديمة . هذه العلاقات ينبغي تصفيتا بممارك طبقية ، تقوم على اساس كسب الملكية الفردية الصغيرة الى صف الاشتراكية ، وليس اكتساب عدوانها بالسمي لاقامة ديكتاتورية البروليتاريا وشن الصراع الطبقي حتى على الملكية الصغيرة .

ولكي يتحقق هذا الهدف على نمو عالمي ، ينبغي ان يتخلى الشيوعيون عن فكري ديكتاتورية البروليتاريا ، والتزام القضاء على الملكية الفردية مهما كانت صغيرة ، ينبغي ان يتخلوا عن كل ما بشرت

به الليتينية ، ويعترفوا بان الاشتراكية الديموقراطية التي عادوها طويلا قد حسان الوقت لتكون هي وريثة مذهبهم في تحقيق التطور الاجماعي . انهم في ظل ازمته النظرية الحالية وبلبلتهم الفكرية يكتفون تماما عن انهيار الرابطة المذهبية التي كانت تجمعهم . وليس لهم مخرج منها الا بالاعتراف بان لكل بلد طريقه المستقل الى الاشتراكية ، هذا هو مغزى انصار الثورة العالمية ، وليس خضوع الجميع لنظام واحد وتفكير جامع . عليهم ان يعودوا من كل بلد الى اوضاعها المحلية وتميزاتها الخاصة عن حاجتها الى العدالة الاجتماعية ، بدلا من السعي لفرض صورة التجربة الروسية عليها . وقد تبين ان الطريق التدريجي الديموقراطي في تحقيق الاشتراكية هو ما ينتظر بقية العالم ان يسموا ليكونوا جزءا من هذا الاتجاه وليس عدوا له . حقيقة لقد لعبت الاشتراكية الديموقراطية في البلاد الرأسمالية المتقدمة دورا ذليلا لامبريالية افقدتها معظم ملامحها الاشتراكية ، ولكن على الشيوعيين ان يدركوا ان موقفهم من النيوديموقراطية والملكية الفردية الصغيرة كان له دور كبير في دفع الاشتراكية الديموقراطية الى احضان الامبريالية . ولكن تخليهم عن هذين الموقفين يمكن ان ينتزع جماهير تلك الاحزاب من سيطرة النفوذ الامبريالي ، وبعودة الشيوعيين الى الديموقراطية يمكن ان يعود الاشتراكيون الديموقراطيون الى الاشتراكية . ويلتقى الجميع على صعيد واحد . اطارد العالمي هو استقلال كل بلد بطريقها للاشتراكية وانتفاء تبعيتها لاي مجتمع اخر في الروابط السياسية والتطور الاجتماعي ، ومحتواه الداخلي هو تحقيق الاشتراكية على اساس الرغبات الحقيقية للجماهير ، وطبقا لدرجة وعيها والنضج الاقتصادي في مجتمعها .

لو وعى الشيوعيون ذلك فمن الممكن ان تتحقق تغييرات واسعة في الاوضاع المعاصرة عالميا ودوليا . فيزوال فكرة خطر الشيوعية على الديموقراطية سينتفي الذعر الذي يسود الجماهير في العالم الرأسمالي ويمكن الامبريالية في بلادها من السيطرة عليها ، ودفعها في سباق التسلح واقامة الاخلاف والقواعد العسكرية . كما ان تحقيق وحدة الاحزاب الشيوعية والاشتراكية على اساس الاشتراكية الديموقراطية - وهي دعوة نادى بها المؤتمر العشرون للحزب البلشفي وفشل في تحقيقها لانعدام الوعي باسها الصحيحة - هذه الوحدة سوف تتيح الفرصة لقيام حكومات اشتراكية في معظم بلاد اوربا الغربية التي تشكل فيها تلك الاحزاب اغلبية برلمانية ، ولكن انقسامها يتيح الفرصة للامبريالية للاحتفاظ لنفسها بالسلطان .

فاذا ما تحقق ذلك وساد نتيجة له ضرب من التفاهم العالمي ، فان توقف الانفاق الضخم على التسلح سوف يمثل رصيما هائلا من فائض القيمة الذي يسمح برفع مستوى معيشة الجماهير الى درجة كبيرة ، ويعجل بتطور المجتمعات الى الاشتراكية . وربما شهد المجتمع اميريكي - قلعة الاحتكارية - اوسع تلك التغييرات نطاقا وانسدها عمقا .

ان تحقيق التهادن العالمي ، ووقف حمى التسلح هو المهمة المباشرة للثورة العالمية المنتصرة . فاحتمال الحرب كارثة تفوق كل المفاسد التي سمعت الاشتراكية لتغييرها ، وبدون قيام الحرب فاصدار هذا القسط من القوى الانتاجية على التسلح يعوق الى اقصى حد مهمتها الرئيسية في النمو بقوى الانتاج وانجاز الثورة الصناعية الثانية اما عن علاقة هذا البحث بتجربتنا الاشتراكية ، فهو ان طريقنا المستقل قد اثبت توطده وازدهاره في مقابل العجز الكامل للماركسيين عن ان يحققوا شيئا من ذلك ، بل كان جمودهم المذهبي معاكسا لاحتياجات التطور وجعلهم قوة رجعية تلمب على ابدى الاستعمار والرجعية ، ثم ان الخطوط العامة لهذا البحث سواء في القضايا العالمية او النهج الاشتراكي هي التعميم النظري للسياسة التي تسير عليها بلادنا وتطبيقها فعلا . ومن جهة اخرى فان الذي يرفع اتجاهاتنا الفكرية الى مستوى النظرية هو مدرسة قضايا الاشتراكية بصفتها العامة العالمية ، وتحديد موقف واضح من مختلف مشاكلها المذهبية والسياسية ، ذلك ما يجعل «نظرتنا» تكنسبصفة «النظرية» .

تزييف الواقع

تحت عنوان من «الشعر اليمني الحديث» نشرت صحيفة «الثورة» اليمنية في عددها السابع عشر بتاريخ السابع من «أبريل» مقالا عن «أدب اليمن المعاصر» .. وعن الشعر الحديث بوجه خاص وعن بعض الشعراء الناشئين بوجه أخص .. وفي نفس المقال هجوم شديد على كاتب هذه السطور فيها حقد ومغالطات لا تمت الى الحقيقة مطلقا .. أما سبب الهجوم فهو مقال صغر كنت قد كتبت في «الآداب» بتاريخ شباط الماضي لخصت فيه ما أعرفه عن واقع المحنة .. واقع الجسد الفكري الادبي الذي تعانيه اليمن العربية نتيجة الانفلاق الذي فرض أئمة العفن والفساد .. ورغم أن الصحيفة سلمت في البداية بوجود محنة «العدم» إلا أنها سرعان ما انهالت علي بسطور كلها حقد .. وتركيز .. ! ففي بداية مقال الصحيفة تقول بالحرف الواحد :

«ضرب الحكم الرجعي الاقطاعي في شمال اليمن سنارا حديديا على الفكر والعقل وشوه ابداع شعبنا بحرمان جماهيرنا من الكلمة المكتوبة الشريفة مما أدى الى تخلف فكري سحيق وعزل اليمن كله عن العالم المتقدم الخ» .

وبعد سطور قليلة تعود الصحيفة المذكورة الى مناقضة نفسها عندما تنفي عن اليمن حالة العدم الموجود حتى هذه الآونة .. ثم تقول عني بالحرف الواحد :

«فقبل شهرين كتب أحد اليمنيين المدعو «الزرقعة» مقالا في مجلة «الآداب» البيروتية بلغة المعترف الجاهل بـ «أن شعب اليمن لم «يبدع» و «أن نمة محاولات فاشلة في الشعر على يد الزبيري وعبدالله سلام لم تنجح وأن القصة القصيرة بدأت في الصحف العدنية منذ الصيف الماضي وأنها ركيكة .. الخ» ثم تساءلت الصحيفة - وهي على حق - فيما اذا كان «هذا الزرقعة يمتيا أم لا ؟!» كما تساءلت أيضا اذا كان نمة يمني «يعرف القراءة والكتابة يتمتع بهذا القدر من الجهل» وفي نفس الوقت امتدحت الصحيفة مجلة «الآداب» لانها ردت علي بمقالة عن الشاعر الشهيد زيد الموشكي . والى جوار هجوم الصحيفة المذكورة تلقيت هجوما آخر .. من رابطة الطلاب اليمنيين ببراغ لنفس السبب .. كما اذاعت محطة اذاعة صنعاء في ركنها الادبي هجوما من نفس النوع .. على لسان المشرف على الركن الادبي «حسين جعفر» .. وكلهم قد أعجبهم أن أقول «يمتنا العربي يجابه أفسى محنة .. هي محنة العدم الفكري والعدم الادبي» ..

اما المغالطات التي حوaha مقال الصحيفة فهي من ضمن ما قيل لان تشويه أي حقيقة وتزييفها هي جريمة لا في حق الادب الاقليمي لليمن العربي .. بل في حق أدبنا العربي كله .. والذين يغالطون ويضيفون الواقع هم دائما أصحاب العقول الراكدة الذين يؤمنون بأن «ليس في الامكان ابداع مما كان» .. بل هم عملاء الافكار الاخرى مجرد ذبول واتباع للفكر الماركسي .. وليست هذه مجرد «فرية» أرد بها على

الصحيفة المذكورة جريا على القاعدة التي تستعملها الرجعية الفكرية الموجودة في مصر عندما نحارب شبابها العربي الثوري .. بل هي الحقيقية نفسها .. لاسباب أهمها ..

أن الصحيفة عندما أرادت أن تؤكد ابداع شعبنا في مجالات الفكر لم نجد من نستشهد به سوى حثالات من شعراء اليسار الاممين الذين يطرفون أبواب المجلات الهزيلة أمثال الشاعر الناشيء عبده عثمان والذي يتزلف اليوم الى مجموع القادة يمتدح أعمالهم جريا وراء منصب أسوة برفاقه الاممين الذين يشيعون الفوضى في أنحاء ارضنا العربية . ولم تجد الصحيفة دليلا واحدا على أن القصة القصيرة ظهرت في الصحف العدنية في جنوبنا المحتل تعبيرا عن آلام الملايين في شطري اليمن .. وقبلها لم توجد نمة قصة واحدة .. لا قصيرة ولا طويلة .

كقصة بمفناها الشائع .. وعندما حاولت الصحيفة المذكورة تأكيد عبقرية شاعرها الناشيء عبده عثمان قالت عنه انه تخرج من المدارس الاكثر نضجا وهي مدارس «الجواهري» في المدرسة الواقعية النقدية «ومدرسة البياتي كما تأثروا وشاركوا «شعراء اليمن» في احياء الشعر العربي الحديث مع البياتي وشوقي بفضادي وكمال عبد الحليم .. وهكذا كانت العملية مذبذوبة .. فالصحيفة المذكورة لم تجد مدرسة تأثر بها شعراء اليمن سوى مدرسة هؤلاء الشعراء اليساريين وهي هنا تقصد بشعراء اليمن - طمعا - حثالات الفكر الماركسي الذين يشيعون روح الدمار والهلاك لابناء الامة العربية المناضلة .. والصحيفة حينما تتحدث عن الجواهري والبياتي وشوقي وتأثر عبده عثمان بهم كأنما نقول لشعب اليمن أو لتقفيه وتوهمهم بأن تلك القائمة من الشعراء هي احسن قائمة للشعراء في الوطن العربي ..

فالعملية تصح مكشوفة لا شيء .. الا لان الصحيفة تدلل «على غير وعي منها» بوجود حالة التخلف في اليمن .. فهي تقف من الشعب ومن طلائع المثقفين موقف الدجال .. تستعرض أمامهم ألفاظا طنانة «كالمدرسة النقدية - الرومانسية - الامبريالية» .. مع أن المسألة بوضوح تفضح مسلك الصحيفة وتفضح مراميها ونواياها الخبيثة وهي تفرس بذور الشر والحقد في أرض اليمن العربية ..

الصحيفة عندها عباقرة الشعر هم الجواهري والبياتي وشوقي فحسب ..! والمسألة لم تعد بحاجة الى دليل يدمج اتجاه الصحيفة او كاتب المقال على الصعيدين الحكومي والشعبي .. بل وعلى كل صعيد .. ان خطورة هؤلاء ليست في أنهم مجرد حثالات للفكر الماركسي .. أو مجرد ذبول واتباع بل تكمن الخطورة في أنهم يفرسون افكار الحقد والدمار في أخصب أرض عربية .. يسودها الجهل والجوع ومخلفات العفن الامامي الثقيل ولست هنا في مجال التهرب من «تهم» القتها الصحيفة على رأسي في حقد وتساؤل مرير .. فالاجابة والتدليل على وجود حالة العدم الفكري الموجود في اليمن يمكن أن يلخص فيما يلي :

١ - لم تنجب المكتبة اليمنية حتى الآن - قصة طويلة واحدة - ولا حتى كتابا واحدا يضم مجموعة قصص وكل ما هنالك شطائيسا قصص تتناثر هنا وهناك .. مجرد محاولات .

٢ - أغلب دواوين الشعر التي صدرت منذ حكمت أسرة بيت «حميد الدين اليمن حتى اليوم لا يزيد مجموعها عن خمسين كتابا ..!!!»

نضال البعث

في سبيل
الوحدة الحرة الاشتراكية

١٩٤٣ - ١٩٤٩

من معركة الاستقلال الى نكبة فلسطين والانقلاب العسكري الاول
وثائق هامة تنشر لأول مرة ...

شبابا يقفون اليوم خصوما أقوياء يتحدون رجعية حثالة الشيوخ
الباقين ..

ما قفز صلاح عبد انصبور الى الصفوف الاولى الا لانه أدرك آلام
« زهران » ..

كذلك لم يسمح أحمد عبد المعطي حجازي لنفسه بأن يجلس على
المقاهي « متلعباً » ورفاق يخطون في اليمن أشرف معركة .. فأخذ يردد
كجندى شجاع ..

« ما زال في من بريق الدم لون وشعاع ..

« ما زال في من بريق الدم لون وشعاع ..

« فلتنفخوا أبواقكم في الشمس أيها الجنود ...

« لتنفخوا أبواقكم

« حيث تسرون هناك الآن في الليل البعيد

ينفذني نشيدكم من الضياع »

فهكذا كان الاحساس العظيم هو الذي أحال الكلمات الى سطور
شعرية تنبض بالصدق والوفاء .. فالادب الحقيقي هو الادب المعبر الذي
يقدر على النفاذ الى وجدان الشعب يلهمه ويمزيه واذا كان المجال لا
يتسع للفلسفة الادب الآن فربما يتسع لي أن أنفي عن نفسي صفة الجهل
كما وصفتني به صحيفة الاممية فالمعروف بين مثقفي اليمن جميعاً أن
رئيس تحرير الصحيفة المذكورة أرغم نفسه على خدمة البلاط الملكي وهو
في عداد الامميين يوم اصدر صحيفة « سبا » .. وهي نفسها التي تسمى
اليوم « الثورة » بعد أن أصبح الذين يشاركون فيها مزيجا غريباً من
الامميين والذين لا يعرفون بعد معنى الامة أو الوطن ..؟

مجال الكلام عن الادب اليمني هو مجال يمكن أن يقسم على النحو
التالي ..

أولاً : الفترة الذهبية في حياة الادب اليمني .. أو تاريخ مجلة
« الحكمة اليمانية » وهي التي أسهمت الى حد كبير في الثورة الاولى
عام ١٩٤٨ حتى أنها تسمى « ثورة المفكرين » لان أغلب محرريها قد
أعدموا (١) في هذه الفترة أنتجبت الحكمة حفنة من شعراء العروبة
والوطنية من أمثال الموشكي الثائر والحضرائي والشامسي والييازلي
والشمصصي وغيرهم .

ثانياً : الفترة الحالكة في تاريخ الادب .. عهد الجزائر .. وفيه
تحول حفنة آخرون من الوطنية الى القصر .. وتخلوا عن الشعب بدافع
من الانانية والانتهازية .. فالشامي انتهى الى التوبة والتفكير عن ماضيه
السيء «(٢)» .. أما الحضرائي فقد كان شاعراً كسبت منه الوطنية ثم
تحول في عهد الامام الجزائر الى شاعر ضمن شعراء القصر حتى أشيع
في صنعاء في الآونة الاخيرة أنه هو الذي كتب للجزائر أرجوزته المشهورة
في سب الاشتراكية .. كذلك ظهر في هذه الفترة شعراء شطحوا
بخيالاتهم الى الشعب تارة والى القصر تارة أخرى غير أن أغلب قصائدهم
كانت بعيداً عن الشعب .. بعيداً عن كل شيء .. ومن هؤلاء الاستاذ
عبدالله البردوني كأبرز مثل لشعراء الشمال الذين أسرفوا في التحديق
واستلهم جمال الطبيعة التي لم تكن يوماً جميلة وسأضرب هنا صفحاً
عن ذكر التاريخ السيء لفترة اشتغال الشاعر الكفيف في برنامج أدبي
كانت تقدمه إذاعة صنعاء خلال حكم الجزائر .. وهي المعلومات التي
أفضى بها الشاعر الاستاذ احمد المروني وزير الاوقاف الحالي والاخ
عبد العزيز المقالح وعديد من الشباب المثقف الذي عرف الاستاذ عبدالله
البردوني .. فالتخلي عن الشعب في أشد اوقات المحن شيء آخر ..

وفي الجنوب ظهر خلال هذه الفترة شعراء من نوعية البردوني ..
تخلوا عن الشعب على الرغم من أن شعبنا العربي في الجنوب اليمني
يعاني محنة مزدوجة أبرزها الاحتلال الانجليزي ومؤامرات القصر الامامي
مع الحاكم الانجليزي في عدن .. ومشاكل « التعدين » واضطهاد العمال
من أبناء اليمن العربي .. فهذا كله لم يلهب لظفي جعفر أمان بقصيدة

والفيل النادر جدا من القصائد تعبر عن الشعر كقصائد الزيري وسلام.
٢ - لم تصدر مجلة أدبية واحدة منذ أقفل « الامام احمد -
الجزائر » مجلة الاحرار « الحكمة » .. حتى الآن وقد يكون ذلك
لنقص في الكفاءة الطباعية - لكن على كل حال نقص في الكفاءات الادبية
والفكرية .. وما عندنا هم خليط من شعراء الرومانسية وشعراء الاممية
الصفار الذين يبدأون العيث بمحاولة الهدم حيا في الهدم فحسب ..!
٤ - لم يصدر كتاب واحد لا في الفلسفة ولا الفن ولا التربية ولم
تعرف اليمن العربية شيئاً من هذا القبيل .

٥ - الصحافة أيضاً لا تزال متأخرة عن القطر المصري بما لا يقبل
عن مائتي عام وعن القطر العراقي بما لا يقل عن مائة وخمسين عاماً .

٦ - كذلك لم تعرف اليمن فنون الرسم ولا المسرح ولا الموسيقى
ولا شيئاً من هذا كله ..

وقد تكون هذه رؤوساً لخطوط عامة لمأساة شعبنا العربي في اليمن
الذي لا يختلف في حقيقته اثنان على وجه الارض بأنه شعب حرم من
الحياة .. وليس من الادب أو الفكر .. فحسب .. ان هذا الافتراء
يشدنا الى الحديث عن أخلاقية الادب وما دامت الصحيفة قد افتتحت
في صفحاتها ركناً للادب فلتراع هذه الاخلاقية ولتحتزم نفسها .. واكثر
صحف العالم - مهما كان لونها الحزبي - تحتزم كلمتها المكتوبسة ..
وتحتزم قدسية الحق وشرف الكلمة ..

واذا كان البصق قد أساء فهم مقالتي الصغير أو أحس بجرح في
كرامته فانا بحاجة الى الجروح في « الكرامات » لنذكر عمق المأساة ..
عمق الواقع .. العدم في الحياة .. الضياع .. فنحن نعيش على
هامش الواقع .. هامش الحياة .. ونحن لا نزال سكان « أهل الكهف »
ومواطني « الواق الواق » .. مضحكة في هذا « العالم المطلق الى
السماء .. وستزداد السخرية وتبلغ قمته اذا لم نذكر أعمافنا .. اذا
لم نعرف .. وليس العيب في أننا نبدأ حياتنا من الصفر - على حد
تعبير الاخ محسن العيني - لكن العيب ألا نبدأ .. كذلك ليس عيباً أن
نبدأ في بناء حياتنا من أساسها .. بل العيب أن نتطلع الى أكسواخ
البؤس على أنها « بارقات الملا » كما تطلع شعراؤنا الرومانسيون أمثال
عبدالله البردوني والحضرائي والشامي وكل من طلبوا للقمر وانكروا
حق الشعب .. ! فلندرك أن الاكواخ هي الاكواخ والبؤس هو البؤس ..
والعدم هو العدم .. حتى نجد بديلاً لكل هذه المشاكل .. حتى نطرح
الى العمارات .. والشعب .. ونملاً حياتنا فكراً ونسهم في حياة العالم ..
أما حينما ننكر أن البؤس هو البؤس فمعناه أن البؤس هو الشيع وبذلك
نبقى على التعاسة والضياع فنحن اليوم احوج ما يكون الى مراعاة اخلاقية
العربي المعروف « رعى الله انساناً عرف قدر نفسه » .. فليكن الشعار
هو « رعى الله وطناً عرف قدر نفسه » .. والانسان الواقعي يهدم
ويبنى .. اما انسان الزيت والتضليل فهو يهدم فحسب ..

انا احوج اليوم الى تقمص الاخلاقية العربية ومراعاتها على كل
المستويات ..

كذلك في مجالات الادب نحن احوج ما يكون الى مراعاة اخلاقية
الواقع ومحاولة البناء على أساس نفس الواقع مهما بلغت مرارته .. ولن
تقاس قيمة الاديب أو الشاعر الا بمدى اسهامه في تغيير هذا الواقع ..
ومرة ثانية لا أنكر أن عندنا حفنة من شعراء البادية أو الذين
يتوارثون الشعر عن امرىء القيس ويقلدون المتنبي ويتفلسفون على
طريقة المعري وينشدون الالهام بين الجنادل وفي صحور وشلالات
الجبيل .. وبجوارهم آئين القلوب الجريحة الدامية ووجوه الجياع
والمرأة من شعبنا العربي ..

فالادب الحقيقي هو الذي يعبر عن آلام الشعب .. وهو الصدى
للثورة والنضال .. وهو باختصار التحام بالحياة .. ان القاهرة تصلح
نموذجاً يمكن تقديمه ولكن المجال لا يتسع ، لهذا لا نملك سوى أن نقول
ان في القاهرة شبابا التصقوا بالشعب وعبروا عن آلامه وفقروا بسرعة
وأصبحت أعمالهم الادبية على كل لسان .. ومن بين هؤلاء من لا زالوا

(١) العدد السادس - الاداب - حزيران - السنة الحادية عشرة.

(٢) العدد الثاني - الاداب - شباط - السنة الحادية عشرة.

دَارُ الكَاتِبِ العَرَبِيِّ

للتأليف والترجمة والنشر

بغروت - بتاية عمر الخيام - ص.ب ٣١٥٧

هاتف ٢٤٠١١١٨ - ٢٤٠٥٠٦ - ٢٤٠٥٠٧

١ - الفنون الادبية واعلامها

تأليف : انيس مقدسي

آخر ما انتجه الاستاذ الباحثة في ميدان دراساته الربح مكرسا اياه للفنون الادبية من سائر وجوهها ، مع وقفة طويلة على سير اعلامها ، وتقييم آثارهم بكل ما عرف عن الاستاذ العلامة من روح موضوعية ، واداء علمي رفيع .

٢ - أبناء السندباد

تأليف : آلان فاليارس

قصة الرحلة التي قام بها الرحالة الأشهر آلان فاليارس على مركب شرعي عربي ، طاف به حول الجزيرة العربية والشاطئ الشرقي لافريقيا ، مسجلا ما وقع له من وقائع عجيبة واحداث غريبة ، واصفا كفاحهم ، داغما الحديث التاريخي بالبحث الجغرافي ، ببيان مشرق، حياة البحارة العرب في لهوهم وجدهم ، وعجيب صبرهم ، ومجيد وعبارة نابضة .

٣ - أشهر ملكات التاريخ

تأليف : ليديا فارمر

عرض واف لحياة طائفة من أشهر ملكات التاريخ في العصور، مع تسجيل لما قامت به أولئك الملكات من اعمال رفعتهن الى قمة المجد والسؤدد او انحدرت بهن الى هاوية الدمار والفساد .

٤ - ادباء السجون

تأليف : عبد العزيز الحلفي

كتاب فريد في نوعه وضعه اديب بحثة جمع فيه نثقات ادباء السجون من الملوك والوزراء ، الى الصعاليك والفقراء ، من شتى الديار ومختلف العصور ، حتى كان هذا الكتاب أدهب زلزلة عرفها التاريخ .

٥ - المعتمد بن عباد

تأليف : نديم مرعشلي

كتاب يجمع سيرة الملك الشاعر وفنونه من خلال حياته المعجبية الزاهرة بالتناقضات تضم زرف القصر الى ذل الاسر ، تتوجه صفحة ادب مقارن بحياة وفن الامير الشاعر ابي فراس الحمداني .

٦ - شهيرات النساء

في العالم الاسلامي

تأليف فدرية حسين

كتاب كل ام ومربية ، وكل راغب لابنته واخوته السيرة الفضلى، والقنوة المثلى ، واكتناه صميمي لاسرار حياة مشاهير الرجال ، ووقوف واقعي في كواليس الاحداث الهامة من مسرح التاريخ .

واحدة ولا تألم لصوت السوط يسبح جلود المناضلين الشرفاء .. بسلى عاش لنفسه يتفنى بنفسه في كل دواينه الثلاثة .. !! .. أما النوع الفاير لهذه النوعية الانانية فقد ظهر وبرز اكثر من غيره .. واصبحت قصائد ادريس حنبلة على أفواه الشعب سواء في الجنوب او الشمال لا لانه عبر عن المحنة فحسب .. بل لانه التصق بها وشارك واصبح من زعمائها . وقصائد ادريس هي التحام بالواقع السدامي الموجود حتى اليوم .. فيوم وضعت انجلترا مشروع التعدين في هذا الجزء الحبيب من الوطن الصغير كان ادريس يصيها حمما على المستعمرين ..

سموك باسم الفاصب المستعمر .. رغم الشعور ورغم كل نأثر فتفتقت منا العقول واضمرت .. فيها الحقيقة من قديم الاعصر وبرغم الالفاظ التقليدية الا أن قصائد ادريس هي احسن ما يقال في عدن حتى اليوم هذا برغم أنها لم تطبع في ديوان حتى الآن .. فهو يلتحم مع النضال .. يشارك جماهير العمال في عدن نضالها .. يشاركهم السجون والاعتقالات بالعمل والقصيدة .. ولم يترك أحد مشكلة التعدين حتى اليوم .. وهي المشكلة التي تتضمن فتح باب الهجرة للهنود والمغامرين الاوروبيين وتقديم التسهيلات لهم واضطهاد أبناء اليمن وطردهم .. فهو يتأمل عدن اليمنية العربية فيصورها في بيت واحد تصورا صادقا أمينا فيقول :

« عدن بها زمر الشعوب كأنها صندوق السوان بهي المنظر

وظهر في الآونة الاخيرة من هذه الفترة - عهد الجزائر (٨) - شعراء بعضهم انحرف الى اليسار كابراهيم صادق وبعضهم حافظ على عرويته والتحم بها .. ومن بين شعراء اليسار من الشباب الناشيء عبده عثمان الذي أفردت له الصحيفة عمودا واسعا تسبخ عليه ما ليس له .. لا لشيء الا لانه شاعر يساري .. او يتجه نحو اليسار .. فهي حين تتحدث عن البردوني أو الزبيري - أشعر شعراء اليمن - لا تستشهد لهم الا ببيت واحد لكل منهم - في مقالها المذكور - أما عبده عثمان - (والتركيز الشديد على المدارس التي تخرج منها كالمدرسة الواقعية النقدية التي تنسبها للجواهري والبياتي) فهي تستشهد له بقصيدة ركيكة عن عمال مصنع بأجل يفضح فيها مسلكه واتجاهه .. وهكذا تسير الصحيفة في اتجاه أحق مع أن الظروف الحزبية في اليمن لا تزال بحاجة الى الوفاق والرزنة بل ولا تسمح الظروف بالمهاجرات الحزبية من الآن .. الا أن الشيوعيين المحليين قد بدأوا في التباهي بأنهم « سيموضون ما فقدوه في الكركوك والموصل » !!..

عبده عثمان شاعر ناشيء يسير بخطى طيبة .. وقصائده من الناحية الموضوعية قصائد جميلة تعبر عن ألم للمأساة .. وأبرز قصائده هي تلك التي كتبها وهو يجول في شوارع عدن يصور بها الضياع والالم اذ يقول :

« ما كنت قديسا ولا مسيح

« بل واحدا كالأخرين

تقله الانات والجروح

ونظرة تبكي وعين لا تبوح

وتمتعات ذلة وهمة انكسار »

أما قصائده التي تعبر عن انزلاق الى هوة المطرقة والمنجل فهي التي تحتم علينا أن نشجب كل انحراف يسير الى نضالنا العربي السدامي من أجل الوحدة والحرية والاشتراكية .. وثمة شباب أبدعوا وعبروا واستلهموا من واقع شعبنا قصائد أكثر جمالا وأكثر روعة من قصائد عبده عثمان أو رفاق من شعراء الانحراف . وأبرز شبابنا من الشعراء عبدالله سلام ناجي الذي أبدع في تصوير مأساة التمسزق والغربة التي يعانيها اليمنيون في المهجر .. ولكن الصحيفة لم تسلك مسلكا موضوعيا في سرد الحقائق .. بل تعمدت من هجومها علي أن تركز على شعراء اليسار وتبرزه على شعراء النضال العربي في اليمن .

محمد الزرقه

صنماء